

الشخصية الإسلامية

□□ قامت الصحوة الإسلامية لتحرك السؤال القديم المتجدد حول هوية المدينة العريقة . التي تدين الأغلبية الساحقة من أهلها بالإسلام ، والتي تبدو الشخصية العربية الإسلامية واضحة على ملامحها .. متمثلة في عمرانها ومساجدها .. ووجدان أهلها وتراثهم الديني وميراثهم الحضاري .. في اسكندرية الأزمنة الحديثة .. رغم كل التحديات □□

بقلم : محمد سعيد

يحدث ذلك لأن المكتبة العربية فقيرة في ذلك الجزء التخصص بتاريخ المدن الباحث عن هوية مدينة مثل الاسكندرية ، وباستثناء بعض المراجع الحديثة التي تتناول تاريخ الاسكندرية ودورها في العصر الاسلامي ، مثل مؤلف الدكتور السيد عبد العزيز سالم « تاريخ الاسكندرية وحضارتها » والعديد من الأبحاث

لكن الاسكندرية الإسلامية في ظل العصر الاسلامي لم تحظ حتى الآن بالاهتمام المناسب ممن يدرسون التاريخ ورغم وضوح الدور الذي لعبته المدينة في الحفاظ على الصلة بين المسلمين في المشرق العربي والمغرب العربي ، وهو دور لم تُنح للباحثين بعد فرصة الكشف عنه في وثائق ودراسات التاريخ العربي الإسلامي .

الهوية العربية الإسلامية لمدينة الاسكندرية

شهدت مدينة سان فرانسيسكو الأمريكية - مؤخراً - لقاء دولياً حول الحضارات والمدن .. وتعرض هذا اللقاء لدور المدينة العربية العريقة الاسكندرية ومدى مساهمتها في التاريخ الانساني ، لكن اللقاء الدولي لم يفتن إلى أن عمر الاسكندرية يتجاوز الآن (٢٣ قرناً) وأن أكثر من نصف هذه المدة عاشت الاسكندرية مدينة عربية إسلامية ، ولذلك كان تقصير هذا المؤتمر - الذي حضرته وزيرة الثقافة اليونانية ، جيلينا ميزكوري ، - في تحديد هوية الاسكندرية على انها تنتمي لحضارات البحر المتوسط الاغريقية اليونانية الرومانية دون استمرارية الدور الهام الذي اعطاه الفتح الإسلامي للمدينة العريقة .

والواقع أن هذا الفهم القاصر قد يبدو مقبولاً من أصحاب النظرة الانطباعية العادية ، لكنه يبدو غريباً من لقاءات ومؤتمرات تبحث في مسائل حضارية دقيقة .

وقد يكون هناك بعض العذر للعامية ، لكنه غير مقبول من الخاصة حتى إذا افترضنا أن واقع الاسكندرية المعاصر يكاد يكون معروفاً لدى عشاق المدينة الكبيرة التي يتجاوز عدد سكانها الملايين الأربعة ، ويتجاوز عمرها (٢٢٢٣ عاماً) منذ ظروف نشأتها واختيارها عاصمة لأكبر امبراطوريات التاريخ القديم التي كونها الاسكندر الأكبر المقدوني ، واستمرارها لأكثر من ألف عام عاصمة مصر في ظل دولة البطالسة ، ول ظل الدولة الرومانية .

○ مسجد الإمام البوصيري - صاحب البردة - بتوسط ساحة المساجد بالاسكندرية ○



مدينتها الاسكندرية

● اللقاء الدولي - الذي عقد في « سان فرانسيسكو » حول
« الحضارات والمدن » .. أسقط قرون العتبة الاسلامية من
تاريخ الاسكندرية !!

● أهتم المؤرخون بدراسة تاريخ الاسكندرية في العصور اليونانية
والرومانية .. في حين لم يلق عصرها الاسلامي العناية
والاهتمام .

○ ميدان محطة الرمل - اهم ميادين الاسكندرية - جامع القائد إبراهيم في مؤزة الموقع - بتوسط العمارة الحديثة ○



• الرحالة ابن جبير الأندلسي :

إن الإسكندرية أكثر بلاد الله مساجد حتى إن تقدير الناس لها يظنّف ، فمنهم المكثر « اننى عسى أوف مسجداً »
ومنهم القليل « ثمانية آلاف مسجد » .

• مساجد الإسكندرية تحمل أسماء أعلام من المسلمين :

البوصيري .. ابن عطاء الله الكندري .. ياقوت العرش .. أبي
المباسب الأنصاري المراسي .

والنادي الأولي وميدان الزهور في باب شرقي - هي جزء من السور الذي بناه المسلمون ، والذي كان يحيط بالإسكندرية في ظل الدولة الإسلامية .
العطاء الإسلامي

والمعنى الحضاري لهوية الإسكندرية يبدو في احتضانها لقيادة الفكر والرأي واصحاب مدارس الاجتهاد الإسلامية من عرب المشرق وعرب المغرب ، ممن استقروا في بقاعها ، وتجاربوها مع أهلها ، وأثروا وانصهروا فيهم ، كما تأثروا بهم .

وقد وضع هذا في عمق التواجد لهؤلاء - ومنهم بعض الأئمة والعارفين - في الوجدان الشعبي الإسكندري ، فكانت الأحياء تنسب لهم ، والمساجد الكبيرة تؤسس ، لكي يقوموا من خلالها ببيان الدور الحضاري للمسجد في الإسلام .

ولقد وضع عمق هذا التأثير أيضاً في المدارس الدينية والفكرية والأدبية التي نشأت في الإسكندرية على يد بعض الرحالة المسلمين العرب وغير العرب ، ممن استقروا في الإسكندرية ، واختاروها دون غيرها مقاماً لهم .

إن نظرة سريعة على أحياء الإسكندرية تبرز على عمق ما نذهب إليه في هذا التصور ، فهناك أحياء كاملة تسمى بأسماء هؤلاء الرحالة المسلمين مثل : (سيدي بشر) - (سيدي جابر) - (الشاطبي) - (القباري) - (العجمي) - (الانفوشي) - (سيدي كمال) - (سيدي عبد الرحمن) - (سيدي كريب) .

به تناول ياقوت الحموي في كتابه « معجم البلدان » ، والبعقوبي في مؤلفه « كتاب البلدان » .

ويقول المقرئ عن الإسكندرية : « إن الإسكندر الأكبر أصاب في الإسكندرية أثر بنيان واعمد كثيرة من الرخام .. إن الإسكندرية بأسواقها وشوارعها وأزقتها كانت مقنطرة كلها لا يصيب أهلها شيء من المطر » .

ويروي ياقوت الحموي في « معجم البلدان » ، أن خليفة المسلمين عربين عبد العزيز رضي الله عنه سأل الأزهرين معيد : أين تسكن في مصر؟ فأجاب : في القسماط ، ورد عليه الخليفة : أين أنت من الطبيعة؟ فقال ابن معيد : أينهم؟ فقال خليفة المسلمين : الإسكندرية .

ورغم هذا الانجذاب إلى الإسكندرية فإن المؤرخين القدامى والمحدثين اهتموا بدراسة تاريخها في العصورين اليوناني والروماني . في حين لم يلق تاريخها الإسلامي إلا عناية شاحبة لا تشبع هوى الباحث في تاريخها ، كذلك لم تلق الإسكندرية من دأري العصر الإسلامي العناية والاهتمام الذي لقيته مدن أخرى ، مما جعل الإسكندرية تتجه إلى الطابع اليوناني رغم تعريبها ، الأمر الذي ساعد على ضياع الجزء الأعظم من معالمها الإسلامية في مراحل تطور عمرانها وتجدد معالمها ، حتى إن الكثيرين من أبناء الإسكندرية وزوارها لا يعرفون أن الأسوار القديمة الضخمة المكتشفة في حدائق الشلالات - المجاورة لاستاد الإسكندرية

والدراسات المنشورة للمؤرخ نفسه عن مراحل مختلفة من عمر الإسكندرية في العصر الإسلامي لا نجد إلا القليل من الكتب التي تهتم بإضافة قدر من الضوء على هذا الجانب الهام من ملامح الهوية الإسلامية لمدينة الإسكندرية .

وقد عرفت المكتبة العربية بعض الكتب التي تناولت هذا الملح من تاريخ الإسكندرية مثل كتاب الأمير عمر طوسون « تاريخ خليج الإسكندرية » ، صدر عام ١٩٤٢م ، وكتاب الدكتور محمد عواد حسين ، مقدمة لتاريخ الإسكندرية ، وكتاب الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيى « حضارة الإسكندرية » ، وكتاب الدكتور سعد زغول عبد الحميد « الإسكندرية من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر الفاطمي » ، وكتاب رسالة الدكتوراه التي تقدم بها الدكتور محمد صبحي عبد الحكيم « مدينة الإسكندرية » ، وصدر في عام ١٩٥٨م .

أما إذا لجأنا إلى مؤلفات ومخطوطات الماضي التي تعالج هوية الإسكندرية فإننا نتعرف على بعضها ، وأهمه : مخطوط « فضائل الإسكندرية » ، لابن الصباغ أبي علي الحسن بن عمر بن أبي إسحاق ، وهو محفوظ في المكتبة الظاهرية بدمشق ، ومخطوط « الإلمام بما جرت به الأحكام المقضية في وقعة الإسكندرية » ، للتويري الإسكندري محمد بن قاسم ، أيضاً تضمن كتاب « الصبر وديوان المبتدأ والخبر » لابن خلدون ملامح خاصة تشهد لهوية الإسكندرية ، وهو العمق نفسه الذي جرى

● كيف ضاع الجزء الأعظم من المعالم الإسلامية لدينة الاسكندرية في مراحل التطور العمراني ؟!

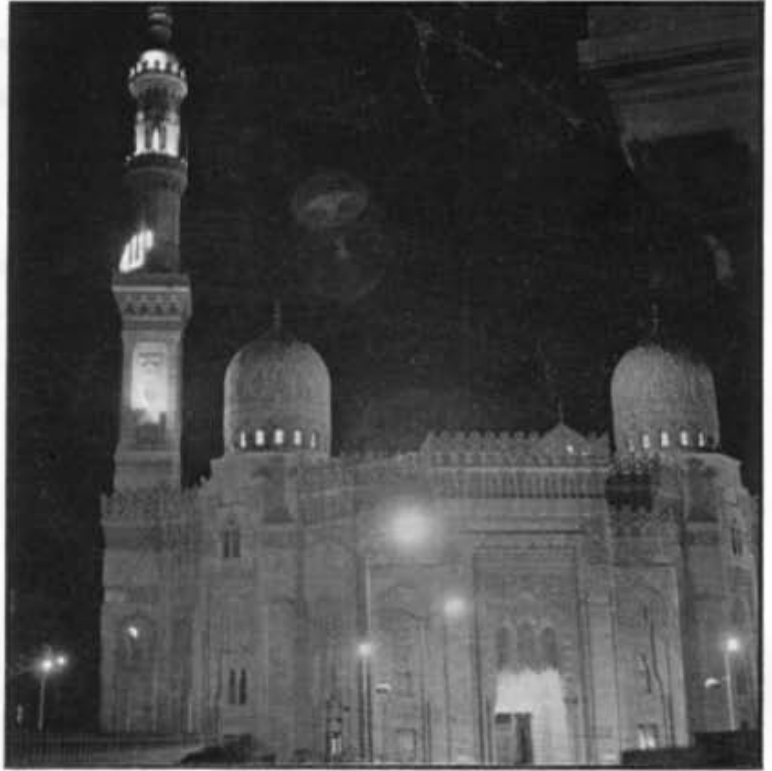
وهناك المساجد الشهيرة مثل : مسجد سيدي المرسي أبي العباس أبرز تلامذة الإمام أبي الحسن الشاذلي ، ومسجد الإمام البوصيري صاحب البردة ، ومسجد سيدي جابر الذي يرجع بعض المؤرخين أصل نسبه إلى ابن جبير الأندلسي .. وهناك مساجد سيدي القباري ، وسيدي العجمي ، وسيدي ياقوت العرش ، وسيدي بشر ، وغيرها مما ينسب إلى أئمة وعلماء صالحين ، ممن جاؤوا الاسكندرية ، وأنسوا بأهلها ورضوا بالمقام فيها ، ومعظم هؤلاء وغيرهم من الأئمة المسلمين كان يطيب لهم المقام في الاسكندرية ، التي اعتبروها ، في مآثوراتهم همزة الوصل بين المشرق العربي ومسلمي المغرب العربي .

وتبدو إلى اليوم هذه الخصوصية في الوجدان السكندري ، الذي يستوعب معنى الانتماء العربي الاسلامي ، ففي أسواق وأحياء الاسكندرية هناك السوق المسمى بسوق ، سوريا ، وهناك السوق المنسوب إلى ، غزة ، الفلسطينية ، وهناك الحارة المسماة ، حارة المغاربة ، كما أن هناك السوق الذي يحمل اسم ، سوق ليبيا ، والزقاق الذي يحمل اسم ، الحجاز ، والآخر الذي يطلق عليه اسم ، بغداد ، وغيرها من البقاع التي انتقلت مسمياتها إلى الاسكندرية من خلال انتقال أهلها للإقامة فيها ، أو من خلال روابط الانتعاش التي انعكست على استيعاب أهل الاسكندرية لتيارات الناصر العربية الاسلامية ، ومن خلال المعاملات الانسانية والتجارية بين سكان الاسكندرية في العصر الاسلامي وحتى الأزمنة الحديثة ، وسكان هذه البقاع .

ولسنا في حاجة إلى أن نشير إلى وضوح الدور السكندري في التأثير على سكان الشمال العربي الافريقي في الموروثات الشعبية ، وفي أساليب البناء والطراز المعماري ، حتى إن صاحبة ، المكس ، في غربي الاسكندرية اشتهرت لسنوات طويلة بصناعة الملابس العربية والهدوية لسكان الشمال العربي الافريقي كلهم .

المفتح الاسلامي واختيار العاصمة

على الرغم من الانجذاب الاسلامي العربي للاسكندرية عند فتحها - خاصة



○ جرى تجديد بناء مسجد أبي العباس عام ١٦٨٠ هجرية ، وأقيمت أمامه ساحة المسجد ○

○ مسجد أبي العباس الانصاري المرسي (٧٠٦هـ) اشهر علماء عصره .. اقيم خارج باب البحر ، ويتوسط قدم الأحياء الشعبية ○



● أصبحت الإسكندرية قاعدة للأسطول الإسلامي ومنطلقاً للفتوحات الإسلامية في العصر العباسي .

● الناصر صلاح الدين يعيد للإسكندرية سابق أهميتها العلمية وينشئ « مدرسة الطب » أشهر المدارس الإسلامية في العلاج والصحة .

المساجد . أهمها مسجد موسى . ومسجد الرحمة . ومكانه ساحة عمرو في حدائق الشلالات اليوم . ومسجد ذي القرنين . ومكانه مسجد النبي دانيال . ثم مسجد المنارة . والجامع الغربي . ويقع قريباً من ضريح الطرطوشي الآن .

وفي العصر العباسي أصبحت الإسكندرية القاعدة الهامة للأسطول الإسلامي . والمركز الرئيسي لانطلاق الفتوحات الإسلامية إلى المغرب . وأصبحت الإسكندرية . بحكم اتصالها بالطرق البرية المؤدية إلى شمال أفريقيا وبحكم دورها البحري . ملتقى الآراء والصراعات

البحر . ولم يكن بساحتها عمران للقبائل أهل العصابات . ولا موضعاً متنوعاً من الجبل . سهل طروقها في الأساطيل البحرية على عدوها . وهذه كالإسكندرية في المشرق وطرابلس من المغرب .

الأزدهار الإسلامي للإسكندرية :
من عصر الأمويين إلى العصر الحديث ...

يعود للإسكندرية بريقها في العصر الأموي . عندما يزورها عبد العزيز بن مروان ويأمر بإعادة بناء حصن الإسكندرية . كما يأمر بإقامة عدد من

الاعجاب بروعة تخطيطها وجمال عمرانها . وعجبية منارها . إلا أن المسلمين عدلوا عن اتخاذ الإسكندرية عاصمة لمصر العربية الإسلامية . كما كانت قبل ذلك ولمدة تزيد عن الألف عام . وسبب ذلك اشتراط خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ألا تكون الحاضرة مبنية بحرباً . فقد أدرك رضي الله عنه أن الإسكندرية . من خلال موقعها على البحر وإحاطتها بالساحات المنبسطة من الشرق والغرب . سهلة المنال على أعداء المسلمين في تلك الحقبة .

وقد عبر ابن خلدون عن هذه الحقبة بقوله . إن المدينة إذا كانت حاضرة

- الطراز
- المعماري
- المميز
- مسجد
- القرني
- نبي العباس
- بني
- ليل
- الإسكندرية



● عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أدرك أن الإسكندرية - بموقعها على البحر وإحاطتها بالمساحات المنبسطة - لا تصلح حاضرة للبلاد .

للاسكندرية ، فقد بُنيت قلعة قايتباي ، التي ذكر ابن إياس أن السلطان الملك الأشرف قايتباي أسسها في الإسكندرية فوق أنقاض منار الإسكندرية القديم .
وأهم مساجد تلك الفترة : الجامع الشرقي ، الذي جاء ذكر زخارفه الرخامية ونقوش الفسيفساء فيه ، في كتاب « وصف مصر » ثم الجامع الغربي ، وكان مقاماً على كرم الناضورة . وقد اتخذته الحملة الفرنسية في عهد نابليون بونابرت مكاناً لحصون مدفعيتها . ثم اشتراه الرهبان الفرنسيون في ظروف غيباب إسلامي عن الإسكندرية عام (١٨٨٤م) . وبعد سقوط الإسكندرية واحتلال بريطانيا لمصر في عام (١٨٨٢م) .

وتجدر الإشارة إلى أن مسجد سيدي ابي العباس المرسي كان قد أقيم خارج باب البحر في سنة (٧٠٦ هجرية) وهو ينسب إلى العلامة الشيخ ابي العباس الأنصاري المرسي أشهر علماء تلك الفترة ، وتلميذ ومصدق الشيخ ابي الحسن الشاذلي . وقد تجدد بناء المسجد في سنة (١٢٨٠ هجرية) وأعيد بناؤه في عهد الملك الأسبق فؤاد ، وأقيم أمامه ميدان المساجد ، وفيه مسجد يلقون العرش . ومسجد الإمام البوصيري صاحب « البردة » . ومسجد ابن عطاء الله السكندري .

ومع خضوع البلاد للاستعمار الأوربي بداية من وصول الحملة الفرنسية إلى الإسكندرية في عام (١٧٩٨م) ثم وصول حملة « فريرز » إلى رشيد عام (١٨٠٧م) إلى أن وقعت البلاد في برائن الاحتلال الإنجليزي عام (١٨٨٢م) ، حرص الأجانب على الابتعاد بالاسكندرية - المدينة التي استقر فيها كثرة من الأجانب - عن ملامحها العربية الإسلامية . برغم تمسك أهلها ومقاومتهم المعنوية والمادية ، حتى قامت المصووة الإسلامية التي حركت من جديد السؤال القديم المتجدد حول هوية المدينة العربية التي تدين الأغلبية الساحقة من أهلها بالإسلام ، والتي تبدو الشخصية العربية الإسلامية واضحة على ملامحها المتعملة في عمرانها ومساجدها ، ووجدان أهلها وتراثهم الديني ، وميراثهم الحضاري في استكثارية الأزمنة الحديثة برغم التحديات .



○ حديقة ميدان المساجد . حيث تتجمع ٧ مساجد قديمة وحديثة من المواقع التي تحمل الملامح الإسلامية بمدينة الإسكندرية ○

الإسكندرية من أسباب اهتمام الناصر صلاح الدين وخلفائه ما يعيدها لسابق أهميتها . وفي هذه الفترة . وبعد إنشاء « البيمارستان » ازدهرت مدرسة الطب في الإسكندرية ، وكانت من أشهر المدارس الإسلامية في العلاج والصحة .
وعمرت الإسكندرية بالعديد من المساجد التي بالغ الزخالة في عدها ، حتى إن ابن جبير الأندلسي قال : « إن الإسكندرية أكثر بلاد الله مساجد حتى إن تقدير الناس لها يطغف ، فمنهم الكثير ، ومنهم المقلل . الكثير يقول في تقديره (١٢ ألف) مسجد والمقلل لا يقل تقديره عن (٨ آلاف) مسجد . .

ويجمع المؤرخون على أن ازدهر عصر الإسكندرية الإسلامية كانت في عصر الظاهر ببغداد .
أما في عصر السلطان أشرف قايتباي ، وبعد اندحار غزو القبارصة

السياسية في تلك الفترة حتى سيطر الأندلسيون عليها سنة (١١٩٩ هجرية) إلى سنة (٢١١ هجرية) .

وفي عصر الدولة الطولونية حققت المدينة بعض ازدهارها القديم عندما زارها أحمد بن طولون وأعاد إنشاء سور الإسكندرية ، وفتحت فيه أربعة أبواب هي : الباب الشرقي ، وباب رشيد ، وباب الغرافة - القاهرة . والباب الغربي - باب سررة . .

ويعود للاسكندرية دورها السياسي في العصر الفاطمي حيث دخل المعز لدين الله الاسكندرية ثم اتجه منها إلى موقع القاهرة التي اختارها عاصمة لدولته .

وأهم آثار الاسكندرية الإسلامية في العصر الفاطمي : جامع العطارين ، ومسجد الطرطوشي مؤلف كتاب « سراج الملوك » سنة (٥١٠ هجرية) .
ويأتي العصر الأيوبي وتلقى